

## حريق مكتبة الاسكندرية - من المسئول؟

الدكتور ابوبكر الكدلوندى

„تاريخ الفلسفة“ كتاب ألفه ويل ديوراند فى نشؤ الفلسفة وتطورها و تراجم الفلاسفة وعثرت فيه بقول عمر بن الخطاب كأنه يمدح به القرآن الكريم - „أحرقوا المكتبات لأن قيمتها فى هذا الكتاب“ (١) ودهشت كل الدهش اذ ظهرت هذه الفرية فى زى جميل جديد فى كتاب الفلسفة بعد أن تسلكت الى كتب التاريخ وبعض المراجع وأفسدت عقول القراء و آراءهم ، وهذا الكتاب يريد أن ينسب ضمنا احراق مكتبة الاسكندرية الى عمرؓ والمسلمين وهكذا يهجم كثير من الادباء والكتاب على الاسلام وخليفته الثانى ويوسخون وجوه العرب والمسلمين بهذه الفرية صراحة أو ضمنا . هذه فرية قد نبت عليها العشب ونسج عليها العنكبوت ولكن المتعصبين وأعداء العرب يرفعون بها اصواتهم كلما وجدوا لها فرصة اما تعصبا لدينهم أو تحقيرا للاسلام .

ويجب علينا أن نصحح هذا الخطأ الذى شاع طول القرون فعلىنا ابراز الوثائق التاريخية و استدلال الحقائق فى ضوءها . وكانت أثينا مركز الادب اليونانى و مهد الحضارة فى عهد اسكندر الكبير وقبله . وبعد وفاته وانقسام دولته انحطت درجتها وسقطت منزلتها وصارت الاسكندرية ملتقى الغرب والشرق ومجمع الحضارتين اليونانية والرومانية فى العلم والأدب فنرى أن أثينا قد خلقتها الاسكندرية وازدهرت تحت رعاية البطالسة . وكان

البطليموس الاول (٣٢٣ - ٢٨٥ ق م) عادلا و محبا للعلم وهو الذى أسس هذه المكتبة الشهيرة فى الاسكندرية وجمع فيها نفائس الكتب أو لفات بردية وجلب اليها فحول القرائح من زوايا العالم المعروف فى ذلك الزمان . وطار صيت هذه المكتبة فى كل أنحاء العالم . انقسمت المكتبة الى قسمين . وكانت المكتبة الرئيسية فى متحف القصر واشتملت على نحو خمسمائة الف مجلد . وكانت المكتبة الفرعية تقع فى معبد سيرابيس واحتوت أكثر من اربعين الفا من الكتب بما فيها النسخ العديدة لكثير من الكتب (٢) . وازدهرت المكتبة فى عهد البطالسة وبقيت طول ايام الرومانيين على ما كانت عليه . وفيما بعد أصابها المصائب وحدثت بها الحوادث ودمرت أخيرا فى أيام البيزنطيين (٣) .

أنى يتسنى لعمر أن يأمر باحراق هذه المكتبة فلننظر الى منشأ هذه الفرية ولنلتفت الى دلائل قاطعة وبراهين واضحة دوتها التاريخ قبل القرون وحفظتها السجلات عبر العصور .

اذا تصفحنا حياة عمر لن نعثر على شىء من نوعه ولن نجد أثرا ما لهذه الواقعة الخطيرة . وصفحات حياته مفتوحة وواضحة بين أيدينا ولم يدع المؤرخون أمرا تافها ولاشأنا عظيما من حياته الا دوتوه وكتبت سيرته الكاملة بالسند الصحيح فى كتب الحديث ولانجد شيئا يشير الى هذه الواقعة كما لم يرد شىء عنها فى تواريخ القدماء من أهل الأخبار أمثال الطبرى واليعقوبى والكندى وابن عبد الحكم والبلاذرى . وهذه المؤلفات هى المراجع التى اعتمد عليها المتأخرون لنقل أخبار الفتح . ولا ذكر لمكتبة الاسكندرية فيها وقد عنى مؤرخو العرب أشد العناية بما يؤيد عقائد الاسلام واعتقاداته وبما يثبت صورة الاسلام وسنته فى قلوب الناس بما فيها عادات الخلفاء وأعمالهم . فسجلوا كل صغيرة وكبيرة حتى رروا قصة البطافة

التي كتبها عمر بن الخطاب لتلقى في نهر النيل حين تأخر الفيضان . وكيف يذكرون هذا الخبر التافه ويتركون ذاك الامر الخطير فهذا أمر مستحيل وغير معقول .

ثم كيف انتشرت هذه الفرية الذميمة على ألسن المتعاقلين ، وكيف استقرت هذه القصة الملفقة في عقول المتعصبين . ويظهر أن ابا الفرج بن العبري هو الذى اخترع وألصق هذه الشنيعة الى عمر لأول مرة . ربما أخذ القصة من مصدر غير موثوق به بدون تحر في الامر وأشاعها اما متعصبا للنصرانية أو مهاجما على الاسلام . ونقل بعض المتأخرين هذه القصة بدون تحقق منها ونقلها الأفرنج كما هي على صورتها الفريية مع أنها لم يذكرها أحد من المؤرخين القدماء وأنها لم يكن لها أثر قبل نقل ,, كتاب مختصر الدول ,, لأبى الفرج المذكور الى اللاتينية . ولم تظهر هذه القصة الا فى القرن الثالث عشر وكان فتح مصر سنة ٦٤٠ م . فأخذ المتعصبون وأعداء العرب والاسلام يبذلون غاية جهودهم فى نشر هذه الفرية ويجسمونها مستهدفين الى الحط من قدر العرب والمسلمين فألبسوا الحقيقة زيا باطلا فالانصاف يفرض علينا تمزيق هذا القناع لاجراء الحق منه مشفوعا بنصوص مقبولة . فلننظر الى أمانة أبى الفرج وصحة قوله .

وهو المسمى Bar Hebraeus Gregorius أيضا وكان مؤرخا سريانيا مستعربا . ولد فى ملطية سنة ١٢٢٦م وكان أبوه طبيبا يهوديا ولما هاجم التتار فرمغ أبيه الى أنطاكية وهو ابن سبع عشرة سنة فترك اليهودية واعتنق المسيحية وانقطع الى بعض الاديرة ونصب أسقفا لليعاقة فى حلب وتوفى سنة ١٢٨٦م (٤) ويقول الزركلى صاحب ,,الاعلام,, ان فى علماء الدين المسيحى من يشك فى عقيدة ابن العبرى .

هذا نص ما قال ابو الفرج فى كتابه ,, تاريخ الدول ,, : ,, وكان عمرو بن العاص حسن الاستماع وواسع القلب وكان يخلو للمحادثة بيوحنا التلميذ الاخير لأمونيوس . وكان يوحنا حاذقا بالنحو عالما فى الفلسفة . وبهذه المحادثات توثقت العلاقة بينهما وأخيرا طلب يوحنا من عمرو مكافأة تكون نفيسة لنفسه ولكن تافهة لذاك البدو وهى خزانة الاسكندرية . وكانت هى الوحيدة التى لم تمتد اليها أيدى الفاتحين بعد . وكاد عمرو يستسلم لرغبة هذا النحوى الا أن نفسه همسته ألا يبادر بأى أمر حتى يستأذن الخليفة فيه ويوافق عليه وان كان تافها أو رخيصا . وما كان الجواب المشهور من عمر الا نتيجة الحماسة من عربى متعصب ,, واذا واقفت هذه المكتوبات بكتاب الله فلا فائدة لها ولا حاجة الى ابقائها وان لم توافق فهى مضرة فاهلكها ... فقام عمرو بتنفيذ مشروع الهدم مثلا للطاعة العمياء ووزع المجلدات المتعددة الى اربعة آلاف حمام فى المدينة ولم تنته النار بجميع أحطابها النفيسة الا بعد ستة أشهر ,, (٥) .

وبعد أن سمعنا رواية أبى الفرج فلنصغ الى ما يقول المؤرخون الآخرون عن هذه التهمة الشنيعة . ينتقده أدوارد جيون (Gibbon Edward) المؤرخ الانجليزى ( وهو الذى لم يفته فرصة للهجوم على الاسلام ) وهو يستبعد هذه القصة ويستنكر نتيجتها . ولا تصح عنده رواية وحيدة من رجل غريب كتبها بعد مضى ستة قرون وخاصة بعد أن كتب تاريخ مصر مؤرخان متقدمان ولم يذكر شيئا عن هذه القصة الغريبة . فكيف أرخ أبو الفرج هذه الواقعة فى كتابه بغير وقوعها ، وكان هذان المؤرخان مسحيين من مصر وأقدمهما بطريرك يوتيوخوس كان مؤرخا معاصرا لفتح مصر وكتب تاريخ الاسكندرية فى القرن السابع الميلادى نفسه وأطال الكلام فى فتح الاسكندرية وأيضا لا يلائم كلامه المنسوب الى عمرٌ باعترافات القضاة المسلمين ولا إعاداتهم

النبيلة كما أنه يخالف تعاليم الاسلام . لاتبيح آية أو سنة احراق كتب اليهود والنصارى ، بل يجوز الانتفاع بكتب العلم والتاريخ والفلسفة وغيرها من العلوم المادية وقد بدأت النار أن تأكل هذه المكتبة منذ عهد يوليوس قيصر ، ونرى النصارى أيضا بدأوا تحطيم آثار الوثنيين لما طاش سهمهم وخاب أملهم . وفي عصر تيودوسيوس نتعلم من سلسلة من المشاهدين المعاصرين أنه لم يشتمل القصر ولا معبد سيرابيس على أربعمئة أو سبعمئة الف من المجلدات التي جمعها البطالسة (٦) .

ويذكر جيبون أيضا كما يلي : ,, حينئذ كان تيوفلس - العدو الدائم للسلم والاحسان - يستوى على الاريكة الجثلية في الاسكندرية وكان رجلا جريئا وسيئا وتلوث يده بالذهب تارة كما تلونت بالدم تارة أخرى وكان مجد معبد سيرابيس يثير غيظه الدينى . ولما احتقر كنيسة بكيس القديمة تبينت أهدافه الشنيعة للوثنيين وهذا الصنيع الفظيع ألقى الخوف والفرع في قلوبهم وتيقنوا أنه يرصد أمرا أقبح وأهول من هذا . وكفى اغراء خفيف اذ ذاك لاشعال نار الحرب بغوغاء عاصمة مصر ولما ضاق الوثنيون ذرعا من النصارى تحصنوا أنفسهم فى معبد سيرابيس وأبعدوا المحاصرين بتقدمات جريئة ودفاع حازم وبقساوة مفرطة قاموا بها على أسراهم المسيحيين للسلوى الأخيرة بعد اليأس . وبذل الحاكم الحليم الجهد كله للمصالحة بين الفريقين واعادة الحال على ما كانت عليه . فاجتمعوا بدون أسلحة فى الساحة الرئيسية وجيء بالفرمان من الامبراطور وقرئ عليهم . وعند قراءة الجملة التى تأمر باحراق أوثان الاسكندرية طرب المسيحيون فرحا مرحا وهرب الوثنيون خلط ملط وهتف الفريق الاول بفرط سرورهم ورجف الفريق الآخر بشدة غيظهم ورجعوا أدراجهم واجمين . فأقدم تيوفلس على هدم هيكل سيرابيس ولم

يعترض أحد في سبيله الا ما وجده من المشقة في حمل الانقاض وأثقالها ولكنها كانت نفسها فوق طاقته ولذلك اضطر الى ترك الأساس كما هو ، واقتنع بتحطيم القصر بعد أن غيره الى كتيب من النفاية . وبنى في محله كنيسة في ذكرى الشهداء المسيحين . فقد نهبت المكتبة النفيسة في الاسكندرية أو هدمت . وبعد عشرين عاما أذكت آثارها البالية والرفوف الخالية الندم والغيظ في قلوب المشاهدين مالم تسود بالتعصب الدينى «(٧)

وقد ورد في موسوعة «نيو كاكستن» أيضا على هذا الشكل : «  
وقد هدمت مكتبة الاسكندرية المشهورة مع الوف المؤلفات وكان كثيرها فى اللاتينية واليونانية سنة ٤٧ قبل الميلاد حين حوصرت المدينة . وأسست المكتبة أيضا بما أهدها أنطونيوس الى كليوباترة من مؤلفات مكتبة برغامم ولكنها عرضت للهلاك أيضا سنة ٣٩٠ م «(٨) .

ودونت دائرة معارف بريطانيا هكذا : «مكتبة الاسكندرية المشهورة التى أنشأها بطليموس الاول قلت أهميتها وحطت قدرها اذ بدأت المدينة تتضعع سياسيا ولكنها بقيت على مر الدهور . ربما هلكت اذ حاصر قيصر المدينة سنة ٤٧ قبل الميلاد ولكنها لم تهدم تماما كما قيل فى بعض الأساطير وتدمرت المكتبة الرئيسية أثناء الحروب الأهلية فى عهد اوريليون فى أواخر القرن الثالث بعد الميلاد والمكتبة الفرعية فى معبد سيرابيس قدهمها المسيحيون سنة ٣٩١ م «(٩) .

فلننظر الى صفحات دائرة المعارف الامريكية : «وقد تهدم القسم الرئيسى للمكتبة اذ اضطرت النار فى منطقة بروكيام لما حاصر قيصر الاسكندرية سنة ٤٧ قبل الميلاد وقد عرضت للهلاك أيضا فى الحروب الأهلية التى وقعت تحت الامبراطور اوريليون حوالى سنة

٢٠٠ م وبقيت مجموعة سيراييوم لغاية ٣٩١ م اذ أهلك المسيحيون المعبد وذخائر المكتبة فيه على أمر الامبراطور تيودوسيوس، (١٠).  
وبعد قصة انشاء المكتبة ووصفها اختتمت موسوعة المكتبة العالمية الجديدة قولها بهذه الجملة: ,, ان معبد سيراييس هدمه جماعة من المسيحيين الذين حشهم عليه الاسقف تيوفلس فى أيام تيودوسيوس الكبير « (١١) .

و دونت دائرة معارف كولومبيا فى عبارة فصيحة : ,, ان المكتبات المشهورة ربما أتلّف جزءها فى حملة يوليوس قيصر كما أتلّف أكثرها بدون شك تحت اوريليون والأكثر منها أثناء تدمير المعابد والهياكل الوثنية تحت تيودوسيوس الاول فى ٣٩١ م ،، (١٢).

والاستاذ فيليب حتى يصف أن هذه الفرية قصة حسنة ولكنها تاريخ سيء ويواصل قائلا :,, اخترقت مكتبة بطليموس الكبيرة قديما حتى فى ٤٨ ق م من قبل يوليوس قيصر ، ومكتبة متأخرة تسمى ابنتها دمرت حوالى ٣٨٩ م على أمر من الامبراطور تيودوسيوس ولذلك لم توجد عند الفتح العربى أية مكتبة ذات أهمية ولم ينسب كاتب معاصر هذه التهمة الى عمرو أو عمر . وعبد اللطيف البغدادى المتوفى متأخرا سنة ٦٢٩هـ - ١٢٣١م يظهر أنه هو الاول الذى روى هذه القصة ، لم فعل هذا لانعرف ولكن المتأخرين من المؤلفين نقلوا قوله وكبروه ،، (١٣) .

و دائرة معارف علوم المكتبات والمعلومات تقول ان المتحف اجتمع مع المكتبة ليكون معهدا للبحث الأدبى . ,, تدمر المتحف فى الحروب الأهلية فى عهد اوريليان عام ٢٧٢م وبعد هذا انتقل التدريس الى سيراييوم مع مكتبته وتيوفلس بطريك الاسكندرية دمر سيراييوم نفسها سنة ٣٩١م ولاشك فى هذه الواقعة على الرغم أن الاسقف سينييسيوس لم يشر اليها فى رسائله ( سينييسيوس الذى

اعتز بانتمائه الى المتحف كان مراسلا لتيوفلس وهو الذى كرز به اسقفا فى الحقيقة ( وتخریب سيرابيوم على الارجح يدل على نهاية مكتبة الاسكندرية و اوروسيوس الذى كتب حوالى ٤١٧ م شاهد المطابع الخالية فقط فى مكتبات المدينة . وقصة تدمير المكتبة فى عهد الفتح الاسلامى بعد قرنين لاحجة لها ومن المؤكد تقريبا انها اختراع، (١٤) .

وقد أنكرت دائرة المعارف الاسلامية أيضا هذه الفرية . ،،لانستطيع أن نسلم بصحة القصة المشهورة التى تزعم أن مكتبتها العظمى قد أحرقت بأمر الخليفة عمرؓ فى ذلك العهد ،، (١٥) .  
وكتب العلامة المؤرخ شبلى النعمانى الهندى أيضا رسالة أوضح فيها اختلاق هذه الفرية ودحضها بكل قوة وحجة . ويقول فيها :،، فتناقل كتاب أوربا ما قاله أبو الفرج حتى نهض جيون الانجليزى لانتقاد رأيه . وبعض مؤرخى أوربا يعزرون قول هذه المسألة الى المقريزى وعبد اللطيف البغدادى وحاجى خليفة من مؤرخى الاسلام . ان هذه الكتب الثلاثة لاتعتبر مصادر تاريخية . فان المقريزى نقل ذكر المكتبة عن عبد اللطيف حرفا بحرف . وقال حاجى خليفة ان العرب كانوا على ما قيل خوفا من عقائدهم يحرقون ما يصادفونه من الكتب . ثم تناول مسائل حريق الكتب ولم يذكرها كأن القصة حقيقة . أما عبد اللطيف البغدادى فعبارته فى مسألة المكتبة أشبه بخرافة فتداولتها الألسنة فذكرتها على علاتها . على أن عبارته هذه بجملتها غير صحيحة كما ثبتت بالبحث ،، (١٦) .

وكانت سيرة العرب فى فتوحاتهم كريمة ، لم يلوثها احراق كما لم تدنسها ابادة . والعرب لم يتعرضوا القبط والنصارى لدينهم وعاداتهم ولكنهم أطلقوا لهم الحرية فى انتخاب البطيرىك وبناء الكنائس وغيرهما . وغاية ما فعل عمرو بن العاص أنه أبطل عاداتهم



القديمة والغريبة منذ العهد الوثني وهى القاء جارية عذراء فى نهر النيل كل سنة اذا تأخر فيضانه . ولم يضايق العرب سكان هذه المدينة عند استيلائهم عليها . وقد فتحوا سوريا وفارس من قبل ولم يحرفوا كتابا ولم يهلكوا أثرا . وأمامنا صفحات التاريخ لاجلاء الحقيقة .

،،وعلى ما قال عمرو ، كانت فيها عند فتحه للمدينة سنة ٦٤١م ٤٠٠٠ قصر و ٤٠٠٠ حمام عام و ٤٠٠ مسرح و ٤٠٠٠٠ من اليهود الذين دفعوا الاتاوة و ١٢٠٠٠ بستانى و ١٢٠٠٠ بائع الأعشاب ،، (١٧)

،، قد أعد سايراس بطريك الاسكندرية (٦٤٢) الامتيازات الممنوحة لأهالى مصر وشروطها : ضمانه أمن النفس والمال للأهالى وممارسة حرة لدينهم على دفع اتاوة ،، (١٨) .

ولو كان العرب يفعلون كما زعم أعداؤهم لكان الأجدر بهم أن يهدموا أنصاب الاسكندرية وأصنامها قبل أن يحملوا هذه الكتب الثقيلة الى الحمامات المتناثرة . ولو أرادوا اباده هذه الكتب لكان الاسهل لهم أن يقذفوها جملة الى أعماق البحر الأبيض بدل ان يضعوا هذه الاعباء العظام على أكتافهم ويشغلوا جيوش المسلمين ستة أشهر فى نقلها الى حمامات مختلفة قريبة وبعيدة . ولا يدب الى قلوبهم خوف على عقائدهم لأن هذه الكتب كانت باللغة اللاتينية واليونانية . ويقول المؤرخ رفيق العظم فى كتابه . أكبر مشاهير الاسلام - ،، فلو أن ذلك الا خرق الذى كتب هذا الخبر ، قدر لكل حمام فى كل يوم مائة مجلد ( وهو قليل ) لبلغ عدد المجلدات التى احترقت ٧٢ مليون مجلد . فأى مكتبة فى العالم يوجد فيها مثل هذه الكتب وأى عاقل يتصور صدق هذا الخبر الذى ينقض بعضه بعضا ،، (١٩) .

وتقول دائرة معارف القرن العشرين :،، فلو احترقت هذه الكتب لعدّها رجال الدين اذ ذاك من أكبر المصائب الذى حاقت بهم من

فتوح العرب ولكتبوها فى تواريخهم مجسمة مكبرة . فمن أين لأبى الفرج وهو بحلب وبعد الحادثة بأكثر من ستمائة سنة أن يعلم بحقيقة الحال وهو بعيد عنها زمانا ومكانا «(٢٠) .

ومن المستغرب أن جرجى زيدان يفند هذه الفرية فى كتابه ,, تاريخ مصر الحديث ,, ولكنه يؤيدها فى كتابه ,, تاريخ التمدن الاسلامى ,, عندما ناقش احراق مكتبة الاسكندرية (٢١) . وهو يصدق رواية أبى الفرج ويقول ان ابا الفرج أخذها عن جمال الدين القفطى المتوفى سنة ٦٤٦ هـ ونقل القفطى وعبد اللطيف البغدادى عن اسحق الراهب قصة انشاء المكتبة ولكنهما أخذوا قصة حريقها عن سواه . ولكن هذا الأخير هو مصدر ضائع . فهذا المؤرخ العظيم يشيد رأيه مستندا على مصدر ضائع فى مسألة خطيرة مثل هذه . وهو يشير الى ,, رغبة العرب فى صدر الاسلام فى محو كل كتاب غير القرآن «(٢٢) ولكنه لا يجيب بأى برهان على هذا . ويصدق هذه الفرية لأنه رأى نفس العبارة فى كتاب أبى الفرج ( تاريخ مختصر الدول ) وكتاب القفطى ( تراجم الحكماء ) وفى الكتاب الأخير يقص يوحنا النحوى قصة المكتبة على عمرو هكذا : ,, وهذه الكتب لم تزل محروسة محفوظة يراعيها كل من يلى الأمر من الملوك وأتباعهم الذى وقتنا هذا «(٢٣) يا للعجب . لم يشير بكلمة الى احراقها فى عهد يوليوس قيصر وابداتها فى الحروب الأهلية من قبل المسيحيين والقضاء عليها بأمر من تيودوسيوس فى أواخر القرن الرابع - وهو يكتف هذا الحق المرثم يقول ان هذه الكتب كانت محروسة محفوظة حتى اليوم .

ومن المحتمل ان القفطى اعتمد على بعض الناس الذين وهما فى معلوماتهم ولم يكن القفطى جادا فى رواية هذه القصة وهذا واضح من عبارته ,, فشرع عمرو بن العاص فى تفريقها على حمامات

الاسكندرية واحراق مواقدها ، وذكرت عدة الحمامات يومئذ وأنسيتهما ، فذكروا أنها استنفدت في مدة ستة أشهر فاسمع ما جرى واعجب ...» (٢٤) والقفطى لم يشر الى الشخص الذى روى عنه وان لنا حقا أن نعرف أمانة هذا الشخص . ويظهر أن جماعة من المتعصين جاؤوا الى القفطى وقصوا عليه هذه الفرية فصدقهم وروى كما قالوا . هذا ما تدل عليه كلمته : " فذكروا " .

ثم ينقل جرجى زيدان عن كشف الظنون ويقول ,, ورد فى أماكن كثيرة من تواريخ المسلمين خبر احراق مكاتب فارس وغيرها على الاجمال ,, (٢٥) ولكنه يقول فى نفس الصفحة ,, ان العرب استبعدوا حدوث الاحراق فى عهد الخلفاء الراشدين فحذفوه من كتب الفتح بعد نضج التمدن الاسلامى ,, فهاتان العبارتان متضادتان لأن العرب كتبوا عن احراق المكتبات على الاجمال ولكنهم حذفوا هذه الفرية من كتب الفتح بعد أن ارتقوا الى مدارج التمدن . هكذا تكون مقاييس التمدن عند جرجى زيدان كأنه يقول ان التمدن الاسلامى الذى صوره هو نفسه فى خمسة أجزاء لا يكون هكذا فى الحقيقة ولكنه هو ما أبقى العرب بعد محو غير المرغوب منها وهكذا ازدهر التمدن الاسلامى .

ولنتخيل أن المسلمين محوا هذه الفرية من كتب الفتح لأنها وقعت فى أيام الخلفاء الراشدين ، ولكن ماذا حدث للمؤرخين المسيحيين ؟ وبعض المعاصرين المسيحيين كتبوا تاريخ فتح مصر فى ذلك العهد ولكنهم لم يذكروا شيئاً عن هذه المكتبة أو احراقها . فالحق أن هذه المكتبة لم تكن تقع على ما يدعى هؤلاء الملقين .

ثم يقول مؤرخنا ,, ان احراق الكتب كان شائعا فى تلك العصور تشفيا من عدو أو نكاية فيه ,, (٢٦) ويسرد حوادث الاحراق فى القرن الثالث الهجرى وفى القرن السابع وما ارتكب الافرنج أثناء الحروب الصليبية وما فعل الأسبان بمكتبات الاندلس . وهذه الحوادث التى

وقعت فى القرون المتأخرة كيف تدل على أن مثلها حدث فى صدر عصر الاسلام . كأنه يقول ان العرب قد سبقوا المغول والافرنج والاسبان فى احراق الكتب وهؤلاء انما اقتدوا عادات العرب الشائعة فى تلك العصور . وعمرو بن العاص لما فتح مصر قد عدد القصور والحمامات وحتى المسارح كما أسلفنا ولكنه لم يذكر شيئا عن هذه المكتبة العظيمة وقد أحصى حتى البستانيين وباعى الاعشاب وترك هذه المكتبة التى طارصيتها طول القرون . فلا شك أن هذه المكتبة لم يكن لها أثر عندما فتح العرب مصر .

السبب الآخر الذى أدى جرجى زيدان الى هذه النتيجة هو ، ان أصحاب الأديان فى تلك العصور كانوا يعدون هدم المعابد القديمة واحراق كتب اصحابها من قبيل السعى فى تأييد الأديان الجديدة . فأباطرة الروم حالما تنصروا أمروا بهدم هياكل الأوثان فى مصر واحراقها بما فيها من الكتب وغيرها . وكان خلفاء المسلمين اذا أرادوا اضطهاد المعتزلة وأهل الفلسفة أحرقوا كتبهم » (٢٧)

حقا هذا ما فعل أباطرة الروم . وقد أباد الامبراطور اوريليون مكتبة الاسكندرية فى أواخر القرن الثانى الميلادى ودمر الامبراطور تيودوسيوس ما بقى منها فى أواخر القرن الرابع . ولكن جرجى زيدان لا يذهب الى هذه التفاصيل . ولاشك أن المسيحيين كانوا غير متسامحين مع الوثنيين ولذلك كانوا شديدى الحرص على احراق كتبهم وابادة أوثانهم . أضف الى هذا ما ورد فى المراجع الموثوقة بها .

»زار الامبراطور كاراكالا ( ماركس اوريلوس أنطونيوس ) مدينة الاسكندرية سنة ٢١٥م ولأجل الانتقام لبعض التهكم اللاذع الذى رمى به السكان عليه ، ارتكب عليهم مذبحه عامة » (٢٨) .

»قد أزال تيودوسيوس فعليا الآرية والوثنية على طول

امبراطوريته . ولكنه في سنة ٣٩٠ أمر بمذبحة ٧٠٠٠ من المتمردين في تيولونيكي من بلاد اليونان « (٢٩) .

أين هذا وتسامح النبي الذي أذن لليهود لتأدية صلواتهم في مسجده . وعند فتح مصر ضمن عمرو لأهاليها روحهم ومالهم وأعطاهم الحرية المطلقة لممارسة أديانهم مقابل دفع اتاوة للدولة وهذا واضح من صفحات التاريخ . ثم كيف ينقض هذه الشروط ويحرق المكتبة . فهذا غير معقول .

أما احراق كتب بعض المعتزلة فهذا صحيح وبعض العلماء أمثال ابي عمرو بن العلاء و ابي حيان التوحيدى وبعض المعتزلة وغيرهم قد أحرقوا مؤلفات أنفسهم . ولكن هذه الحوادث النادرة لاتدل على أن عمرٌ أمر باحراق مكتبة الاسكندرية وليس من المنطق أن يكون ذاك دليلا لهذا .

يختتم جرجى زيدان مقاله بقوله :، ان العرب أحرقوا ما عثروا عليه من كتب العلم القديمة فى الصدر الاول تأييدا للاسلام ، فلما تأيد سلطانهم واستغلوا بالعلوم عوضوا على العالم أضعاف ما أحرقوه . . وهذه عبارة باطنها سم وظاهرها عسل لأنه تأييدا لادعائه كرر أن العرب أحرقوا الكتب القديمة ولكنه يثنى على مساعيهم فى هذا المجال .

ولكن جرجى زيدان بعد أن أفسد العقول بأرائه المضلة أضاف فى ذيل المقالة ما يهدم كل ما بنى وشيد وهو يذكر أن المكتبة احترقت غير مرة من قبل ويقول :، وقد أكد ذلك الاستاذ بول جراندر فى كتابه ،،حرب الاسكندرية ،، الذى ألفه بالفرنسية ونشرته له جامعة القاهرة ، واستدل فيه بأقوال لمارسيلينوس أبيانوس وباولوس أوروذيوس تؤكد أن المكتبة لم تكن موجودة على أيامهما . ثم ان علماء مصر فى أواخر العصر البيزنطى يحدثوننا عن الكتب والمكتبات

فى مصر دون أن يشيروا الى مكتبة الاسكندرية ومن هؤلاء اسطفانوس الملقب بالفيلسوف وداميانوس المعروف بالبطرك دميان وغيرهما ، وقد روى ذلك بالتفصيل فى الجزء الثانى من كتاب : "مختصر تاريخ مصر" والشواهد فيه كثيرة جدا على أن مكتبة الاسكندرية كانت خالية من الكتب قبل فتح العرب لمصر .

،،وقد ذكر المؤلف أن الاصل فى نسبة احراق مكتبة الاسكندرية الى عمرو بن العاص ترجع آخر الأمر الى رواية القفطى المتوفى سنة ٦٤٦-١٢٤٨ ، وهذه الرواية تدور حول حديث بين عمرو بن العاص ويوحنا النحوى وهى واضحة الاختراع لأن يوحنا مات قبل دخول العرب مصر بثلاثين أو أربعين سنة ، واذا كان جريجوريوس ابو الفرج بن اهرن المعروف بابن العبرى قد أخذها من ابن القفطى ، فتكون عبارته أيضا غير صحيحة .

،،ثم ان مؤرخا نصرانيا هو يوحنا النقيوسى قد عاصر الفتح الاسلامى لمصر وكتب فيه ولم يشر الى احراق عمرو للمكتبة وكان أولى الناس بالاشارة الى ذلك لو كان الأمر قد حدث فعلا . ولم يشر اليه أيضا قدامى مؤرخينا من أمثال ابن عبد الحكم والبلاذرى واليعقوبى والطبرى .

،،بقى عبد اللطيف البغدادى المتوفى سنة ٦٢٩-١٢٣١ ، والبغدادى لايعول على كلامه فى التاريخ لأنه كان يأخذ ما يسمعه من الناس ويثبته ضمن مشاهداته ،، (٣٠) .

ويقول الاستاذ محمد كرد على :،، ومع ظهور الحق فى هذه المسألة نرى أناسا يتخيلون أن فى ترديد هذه الأكذوبة على الخليفة الثانى حطا من قدره . فيذكرونها عند كل موقف ليدلوا على جهل الخليفة وتصلبه فى أفكاره وتجافيه عن الأخذ ممن سلف من الأمم جهلا وتعصبا منه ومن قومه ،، (٣١) . ويزعم هؤلاء أن مكتبة الاسكندرية

لو بقيت لغيرت وجوه الكون ولصاروا سعداء بتحذقهم فى الآداب  
وتعمقهم فى العلوم . فهم الذين فى قلوبهم مرض لا يشفيه دواء من  
الأدوية وزادهم التعصب مرضا .

فتجلى الحق لكل من يفكر معتمدا على الحقائق ومستندا الى  
الوثائق ولكن الباطل لم يزهق من قلوب هؤلاء المتعاضمين المتكابرين .  
والحقيقة ان العرب حفظوا الكتب اليونانية واللاتينية والفارسية  
والنبطية والعبرانية (بما فيها كتب أفلاطون وارسطاطليس و أبقراط  
وجالينوس وكتب الرياضيات والنجوم والفلسفة والطب والأدب ) من  
الانقراض والضياع بتعريبها بعد رقودها طول القرون فى زوايا  
المكتبات المظلمة وهم الذين أدخلوا مختلف العلوم الى أوروبا فى زمان  
كانت تتخبط فى ظلمات الجهالة وأحيوها فى قلوب الأنام وأناروا بها  
أقطار العالم (٣٢) وكل هذا أمر جلى وواضح فى صفحات التاريخ الذى  
سجله العرب والعجم والمسلمون وغيرهم . أما هذه القصة الملفقة  
فليست الا جزاء للعرب ممن لم يفت فرصة لقذف العرب والمسلمين  
والذى لم يشرح صدره للاعتراف بالجميل . وهذا مغزى ما قيل : ,, اتق  
شر من أحسنت اليه ,, .

## المراجع

- ٤ - الأعلام - خير الدين الزركلى - الطبعة الثالثة ١٩٦٩ ج ٥ ، ص ٣٠٩  
١٥ - دائرة المعارف الاسلامية عربها محمد ثابت الفندى والآخرى انتشارات جهان - طهران مجلد ٢ ،  
ص ١٢٧  
١٦ - دائرة معارف القرن العشرين - محمد فريد وجدى ، دار المعارف بيروت ١٩٧١ ، مجلد ١ ، ص ٣٣٤  
- ٣٣٥  
١٩ - نفس المرجع ص ٣٣٣

- ٢٠ - نفس المرجع ص ٣٣٦
- ٢١ - تاريخ التمدن الاسلامى - جرجى زيدان - مطابع دار الهلال ١٩٥٨ ، ج ٣ ، ص ٤٤ - ٥١
- ٢٢ - نفس المرجع ص ٤٥
- ٢٣ - نفس المرجع ص ٤٨
- ٢٤ - نفس المرجع ص ٤٨
- ٢٥ - نفس المرجع ص ٤٩
- ٢٦ - نفس المرجع ص ٥٠
- ٢٧ - نفس المرجع ص ٥٠
- ٣٠ - نفس المرجع ص ٥١ هذه من تعليقات الدكتور حسين مؤنس الذى كتب تقديمًا للكتاب ولكن هذه التعليقات لم تشر فى النسخة التى نشرتها دار مكتبة الحياة ببيروت فى ١٩٦٧ م .
- ٣١ - الاسلام والحضارة العربية - محمد كرد على - لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة - الطبعة الثالثة ١٩٦٨م ج ١ ، ص ٢١
- ٣٢ - راجع تاريخ التمدن الاسلامى ج ٣ ، ص ١٨١ - ١٨١





- (1) Story of Philosophy - Will Durant Washington Square Press, New York, 1967, Page: 15
- (2) The New Universal Library - The Caxton Publishing Co; London 1968, Vol. I Page: 168.
- (3) Encyclopedia Americana - Americana Corporation, New York 1971, Vol. I Page: 543.
- (5) The Decline And Fall of the Roman Empire - Edward Gibbon Encyclopaedia Britannica Inc, Chicago, 1952 Vol II Page: 274
- (6) Ibid Page: 274
- (7) Ibid Vol I Page 461-62
- (8) The New Caxton Encyclopedia - The Caxton Publishing Co; London 1966 Vol I Page 134 (It supports this allegation and concludes the article vaguely saying: Finally came to an end in 642 AD when Moslems captured the city).
- (9) Encyclopaedia Britannica - Encyclopaedia Britannica Inc. Chicago 1967 Vol I Page 584 & Vol XIII Page 1033
- (10) Encyclopedia Americana - Americana Corporation, New York 1971 Vol I Page 544
- (11) The New Universal Library - The Caxton Publishing Co. London 1968 Vol I Page 168-69
- (12) The Columbia Encyclopedia - Columbia University Press, 3rd Edition 1965 Vol I Page 47
- (13) History of Arabs - P.K. Hitti, Macmillan 10th Edition 1979 Page 166.
- (14) Encyclopedia of Library And Information Sciences Marcel Dekker Inc, New York 1968 Vol I Page 401-404
- (17) Collier's Encyclopaedia - Macmillan Educational Corporation, New York 1977 Vol I Page 525
- (18) The Encyclopedia of World History - William L Langer 5th Edition, George G Harrap & Co Ltd, London 1972 Page 200
- (28) Encyclopaedia Britannica - Helen Hemingway Benton, 15th Edition 1977 Vol I Page 584
- (29) Funk & Wagnalls New Encyclopedia - Funk & Wagnalls, Inc, New York Vol XXIII Page 115

